

مساهمات الجالية المغربية في الحياة الثقافية في مدينة القاهرة

1798-1517م

سليم رجب محمد الحجازي

أستاذ مشارك بقسم التاريخ - كلية الآداب جامعة عمر المختار البيضاء - ليبيا

Contributions of the Moroccan community to the cultural life of Cairo

1798-1517

Saleem Rajab Al-hijazi/ University of Omar Al-Mokhtar

<https://orcid.org/0009-0003-8989-4521>

saleemalhejazey@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/05/05 - تاريخ المراجعة: 2026/05/28 - تاريخ القبول: 2026/06/07 - تاريخ النشر: 2026 /06/21

ملخص:

أسهم المهاجرون القادمون من بلاد المغرب في الحياة الثقافية والعلمية في مصر إلى جانب المصريين، وظهر هذا الحضور بصورة واضحة في المؤسسات التعليمية المختلفة، وفي مقدمتها الأزهر الذي قصدوه لتلقي العلم، ونظروا إليه بوصفه من أهم مراكز التعليم والمحافظة على التراث الإسلامي. كما امتد حضورهم إلى الكتاتيب، التي تعد من أقدم مؤسسات التعليم، فضلاً عن المدارس الأخرى التي كانت منتشرة في القاهرة خلال تلك الفترة. كلمات مفتاحية: مساهمات مغربية - الثقافة - مدينة القاهرة

Summary:

Moroccan immigrants played a significant cultural role alongside their Egyptian counterparts in all academic institutions. This was particularly evident in their presence at Al-Azhar University, where they received their education. Moroccans considered Al-Azhar the university that shouldered the burden of education while also preserving Islamic heritage. This was further demonstrated through their presence in the kuttab (traditional Quranic schools), one of the oldest educational institutions, and in other schools that were widespread in Cairo.

Keywords: Moroccan contributions - Culture - Cairo

المقدمة:

لقد برز عدد كبير من العلماء المغاربة الذين تخرجوا من داخل هذه المنشأة على يد علماء مصريين وعاشوا برواق المغاربة بالجامع الأزهر وتمكنوا من اقتناء الكتب واستنساخها والحفاظ عليها ومن خلال الشرح والتأليف ودراسة مؤلفات إخوانهم المصريين وغيرهم، والعكوف على دراساتها وأكبر دليل على هذا النشاط في مجال النسخ، أن كثيراً من المؤلفات التي كتبت في القاهرة وغيرها أو التي وجدت في مكتباتها في تلك الفترة، نسخت عن طريق علماء مغاربة أو نساخ محترفين من المغاربة.

وفي القرن السادس عشر وجد نساخ محترفون ينسخون الكتب بقصد بيعها، أو الانتفاع بها عن طريق الاتجار فيها، ومن هذا الطريق أخذ الكثير من المؤلفات سبيله إلى بلاد المغرب العربي كما تم النسخ

لنسخ الوحيدة لكثير من المؤلفات العلمية بعد أن اندثرت أصولها نتيجة للاضطرابات التي شهدتها البلاد في القرن الثامن عشر، كاشتداد الصراع بين البيوت المملوكية وخلال الغزو الفرنسي وفترة الاضطراب السياسي التي أعقبت خروج الحملة الفرنسية ولذلك فإن بقاء نسخ من هذه المؤلفات ترجع إلى جهد هؤلاء المغاربة التي تشهد خطوطهم على قيامهم بهذا العمل الجليل¹

ويبدو أن المغاربة عرف عنهم حبهم للعلم فقد كانت تحذوهم رغبة صادقة في الالتقاء بالعلماء لربط السند العلمي بأسانيدهم ونيل إجازتهم، وحاجتهم إلى المعارف الجديدة والمذاهب الفقهية التي لم تكن معروفة عندهم، خاصة وأن معظم بلاد المغرب على المذهب المالكي، لذا افتقرت مدن المغرب علمياً إلى المذاهب الأخرى فأوفدوا أهل العلم النابغين من أبنائهم للتخصص في هذه المذاهب ونشرها في البلاد بعد عودتهم كالشيخ محمد كامل بن مصطفى² والشيخ حسين محمد النائب الأنصاري الذي تخصص في المذهب الحنفي³

والمتتبع لسلسلة علماء المغاربة الذين ترد تراجمهم في كتب التراجم الخاصة بالقرن الثامن عشر ومن خلال وثائق المحاكم الشرعية الذين حلوا بمصر ودرسوا في مدارسها والعطاء العلمي الذي قدموه للحياة الثقافية في مصر والوطن العربي يدرك مكانة العلماء المغاربة في المجتمع المصري حيث نال العلماء الاحترام والتقدير من الفئتين اللتين يتكون منهما المجتمع في ذلك الوقت وهما طبقة الحكام من الأتراك والمماليك وطبقة المحكومين التي يتكون منها الشعب المصري، وأصبح العلماء يمثلون جسر الالتقاء بين الحكام والشعب في مصر. فمثلاً عندما جاء حسن باشا القبطان إلى مصر في عام 1786م للقضاء على حكم إبراهيم ومراد الثنائي، وبعد أن هرب إلى الصعيد عمل حسن باشا القبطان على بيع زوجات وأولاد أنصاره وأعاونهما وقد أثار هذا العمل غضب العلماء الذين رأوا أنه لا يتفق والشرعية الإسلامية التي لا تجيز ذلك، ولذا فقد ذهب كل من الشيخ الدردير والعروسي والسادات والحريري إلى حسن باشا القبطان واخبروه أن مثل هذا العمل لا يجوز وأنه لا يحل له بيع الأحرار وأمهات الأولاد⁴

كما حرص التجار على الرجوع - شأنهم في ذلك شأن الحكام - إلى غطاء الشريعة الدينية ليبرروا تصرفاتهم ويمنعوا عنهم تعدي رجال السلطة وكان قربهم إلى العلماء واصطناعهم لأدوات يوفر لهم مثل

¹ محمد مسعود جبران، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، مركز الجهاد الليبي - طرابلس، ليبيا، 1996م، ص ص 43-48.

² الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، (1517 - 1798) مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1982م، ص 108.

³ الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، ج1، طرابلس، ليبيا 1961م، ص 155.

⁴ عبدالله محمد عزباوي، المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997 م، ص 206.

هذا الغطاء، خاصة إذا لاحظنا أن المعاملات المالية في تلك الحقبة كانت تحدث من خلال أحكام الشريعة الإسلامية لاسيما وأن المجتمع كانت فيه السلطة السياسية مقسمة إلى قوى متصارعة¹. ولذلك نجد الكثير من التجار في مصر يسعون دائماً لإيجاد إطار مشترك من المصالح والأهداف المتبادلة مع العلماء وذلك عن طريق دفع أبنائهم إلى الدراسة والتعليم في الأزهر، ومن ثم أصبحت الكثير من العائلات المغاربة في مصر لديها ازدواجية العمل التجاري والعلمي².

ويؤكد الجبرتي ذلك عند ترجمته للشيخ محمد بن عبد الواحد البناني حيث يقول " أبوه وجده وعمه من أعيان التجار والثروة بمصر ، ثم يقول " وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق " من أعيان المشاهير في مصر الآن "³.

ويبدو أن سياسة العنف والقوة التي اتبعتها المغاربة داخل الرواق في الأزهر خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر مرجعها إلى الدعم المالي الكبير الذي كان يحصل عليه العلماء المغاربة من إخوانهم التجار وتظهر مساندتهم لهم من خلال إغلاق دكاكينهم تضامناً معهم⁴.

ومما زاد من تأثيرهم وقوة إندماجهم مع المصريين أن العلماء المغاربة لم يجعلوا من أنفسهم طبقة متميزة عن غيرهم ، بل شاركوا المجتمع همومه ومشاكله التي كان يعيشها ، واندمجوا في السراء والضراء ، بل أن كثيراً من العلماء المغاربة اتخذ مصرًا موطناً ثانياً لهم وعاش بكل مقومات المجتمع المصري ، فالجبرتي يذكر لنا الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد التونسي المتوفى سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧ م أنه .. (عاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر وتخلق بأخلاقهم وتزيا بزبي أولاد البلد وتحلى بذوقهم...)⁵ وفي هذا دلالة كافية على مدى الاندماج والتأثير والتأثر الاجتماعي الذي أحدثه العلماء المغاربة.

أما طلبية العلم المغاربة فقد كان اختلاطهم بأساتذتهم وزملائهم من المصريين له أثاره البعيدة عليهم فقد تأثروا بالعادات والتقاليد المصرية ، واثروا فيها ، خاصة إذا رأينا بعض الطلاب طالت مدة إقامتهم بمصر ولم تعد إقامتهم قاصرة على طلب العلم ، بل اشتغل بعضهم بالتجارة التي زادت من قوة هذا الاندماج وورد أسماء عديدة لطلاب مغاربة في الوثائق استثمر بعضهم فائض أموالهم في شراء وبيع العقارات

¹ يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص 20.

² القسم العسكرية، س 176، م 104، بتاريخ 1208هـ - 1797 م.

³ عبدالرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ٢ ، مطبوعات مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص ص ٧٢٧ ، ٧٢٨.

⁴ يونان لبيب ومحمد مزين ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧.

⁵ عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٣٧٦.

بمختلف أنواعها من حوانيت ووكالات وربوع وأراضي زراعية ، ليكونوا أكثر نشاطاً في هذا المجال، فمثلاً في ٢٨ شعبان سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١ م اشترى احد طلاب المغاربة ويدعى الشريف على الطرابلسي أثني عشر قيراطاً بالجامع الأزهر ليستثمره ودفع مبلغاً لصاحبه يقدر بخمسة وعشرين ديناراً ذهبياً¹.

وعندما يجد المغاربة فرصة للعمل في مصر غالباً ما كانوا يتزوجون في مصر ، فكانوا يركزون أولاً على العائلات المغربية المستقرة في مصر ليتزوجوا من إحدى بناتها ، وعلى

الرغم من فقر أغلب مجاوري الرواق إلا إن العائلات الثرية كانت تجد في مصاهرة هؤلاء العلماء فرصة جيدة من أجل الواجهة الاجتماعية ، فجد الشيخ ناجي بن علي يتزوج من فاطمة بنت يوسف المصري²، كما تزوج الشيخ محمد الشهير بالمختار ابن محمد المغربي، التلمساني من خديجة بن محمد شعلان التلمساني³، وكان من أعيان الفحامين في تلك الفترة.

وهكذا يتبين من علاقات الزواج بين المغاربة بعضهم البعض أو مصاهرة العائلات المصرية أو الزواج من بنات الأمراء أو المعتقات ، أو الزواج من الأسر التجارية متانة هذا التأثير وقوة اندماج الشريحة المثقفة من المغاربة في المجتمع المصري.

كما لعب المغاربة دوراً فاعلاً في المؤسسات التعليمية خلال القرن الثامن عشر ، والتي تمثلت في الزوايا والكتاتيب والمساجد وعلى الرغم من عدم وجود قواعد ثابتة في مصر خلال هذه الفترة في التدرج في السلم التعليمي ، فانه كان يوجد عرف متداول له قوة القانون في هذا الإطار ، حيث يبدأ الصبي دراسته بالزوايا والكتاتيب ثم يتدرج منه إلى الأزهر أو المساجد الكبيرة كالمسجد الأحمدى في طنطا أو المسجد الدسوقي بدسوق⁴

المبحث الأول : الزوايا والكتاتيب:

تعتبر من مراكز التعليم الأولى وهي عبارة عن أبنية مجاورة للمسجد وملحقة به ، وتعد أماكن لطلاب العلم خاصة وللعبادة عامة وينفق عليها من ريع الأوقاف المخصصة للزوايا⁵، وقد اشتهرت تسمية الزوايا في الشمال الإفريقي ثم انتقلت إلى الحجاز ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون في أصل هذه التسمية فبعضهم نسبها إلى العزلة والانزواء والانكفاء على الذات والبعد عن الناس باجتناب الاختلاط بهم إلا في

¹ الباب العالي ، س ٢١٢ ، م ٥٢٤ ، بتاريخ ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م. ص ٢٤٠.

² محكمة الجامع الحاكم، س ٧٤٣ ، م ٧٨٢ بتاريخ ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م . ص ٣٥٠ .

³ محافظ الدشت ، س ٣٢٧ ، م ٥٦٥ بتاريخ ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م ص ٤٤٨ .

⁴ عبد الله محمد عزباوي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

⁵ ليلي عبد اللطيف ، المجتمع المصري في العصر العثماني ، ج ١ دار الكتاب الجامعي، القاهرة ، ١٩٨٧ م. ص ١٨٧ .

حالات الضرورة القصوى ، في حين ذهب البعض الآخر إلى أن التفسير لمعنى الزوايا لا ينطبق بكل تفاصيله على وظائف الزاوية من نشر الإسلام وإعداده للجهد، في سبيل الله والتعليم وتربية المريدين.

فالزاوية من وجهة هذا الفريق خلية نشطة في الدعوة إلى الله وهذا يستلزم مفهوم العزلة السلبي الذي يعنى عدم المشاركة في المجتمع بأي صورة كانت ، أي اقتصارها على النواحي الدينية فإن الزاوية تنسب إلى أقوى ضلع في المثلث وفي البناء، بمعنى إنها استعارة لمعنى القوة التي يمكن لروح الإسلام وعامة المجتمع أن تستند عليها وقت الحاجة للجهد أو أداء رسالة التعليم والتربية للأجيال¹.

لقد تميزت الحركة العلمية خلال هذه الفترة بإحياء الزوايا القائمة أو بناء زوايا جديدة ، وهي أبنية بسيطة عبارة عن حجرة متسعة لا تحتاج إلى تكاليف كبيرة تكفي للالتفاف الطلبة حول شيوخهم لتحفيظ القرآن الكريم وترتيل الأوراد والأذكار وتلقي العلوم الدينية ، وهي ظاهرة فريدة بالاهتمام والعناية ، غير إن الزاوية كانت سرعان ما تخبوا إذا لم تقو على الاستمرار والنمو لتؤدي رسالتها في نشر العلم بعد وفاة شيخها لعدم تلقيها الدعم والمساندة.

وقد أطلق على هذه المراكز التعليمية في مصر اسم الزوايا الصوفية لأنها تجمع بين نشر الطريقة الصوفية التابعة لها وإقامة شعائرها المعروفة ومنها الزوايا التي تنسب إلى ولي وأنشئت حول ضريح فتكتسب سمعة طيبة من أجل ذلك ويكثر زوارها مما يزيد من إيراداتها.

وقد تنوعت الطرق الصوفية في مصر خلال القرن الثامن عشر ، وأصبحت ظاهرة التصوف أكثر بروزاً في الحياة الثقافية التي نشرها المغاربة في مصر.

فالكثير من المدن والقرى المصرية تحتفظ بالعديد من الأولياء والأضرحة التي ينتسب أصحابها إلى المغرب العربي ، ولعل خير مثال على ذلك ما قامت به الشاذلية في مصر خلال العصر العثماني ، حيث يعتبر الشيخ أبي الحسن الشاذلي المغربي من أبرز مؤسسي الطريقة الصوفية في مصر وتعود أصولها إلى بلدان المغرب مثل العيسوية والحامدية والوفائية وغيرها².

وقد عرفت مصر الزوايا التي يجتمع فيها الصوفية في حلقات تعرف باسم الحضرة حيث تقام ليلتي الاثنين والجمعة من كل أسبوع وفي المناسبات الدينية وعاشوراء والنصف من شعبان وقد اتبع هؤلاء الذاكرون تلاوة الأشعار والأرجال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وجرت العادة عندهم باستعمال الدفوف المصاحبة لهذا الذكر ، وقد أشار الجبرتي إلى ذلك بقوله .. "وتقف جماعة منهم يضربون بالدفوف يضعون

¹ بدوي الجمل ، الزوايا في المجتمع العربي ، مجلة الضمير ، المجلد الأول العدد الأول (د.ت) ص ص ١٧ ، ١٨ .

² الإسكندرية الشرعية ، س ٤٨ ، م ٥٣٧ ، بتاريخ ١١٥٧ هـ / ١٧٤٧ م ، ص ٤٣١ .

أكتافهم في كتف بعض، لا يخرج واحد عن الآخر ويتلوون وينتصبون وينخضون ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة ، بحيث لا يقوم هذا المقام ألا كل من عرف بالقوة ..¹

وقد شهدت قرى ومدن مصر خلال القرن الثامن عشر انتشار الحركة الصوفية ويعتبر ذلك نتيجة لما تعرضت له البلاد من انتكاسات سياسية وحالة الفقر التي عاشها السكان إبان الصراع المملوكي العثماني ، والتي بدورها هيأت الدعوة لظهور مثل هذه الطرق التي أخذت في دعوتها إلى الزهد والابتعاد عن الدنيا.

غير أن هذا الرأي يجافي الحقيقة ، ذلك أن كل مؤسسي الطرق الصوفية في مصر هم من كانوا من العلماء الكبار المشاركين في العلوم المختلفة وبالتالي لا يمكن عزو أسباب انتشار الطرق الصوفية إلى التخلف الفكري وحالة الفقر السائدة، لاسيما وأن الارتباط كان وثيقاً عند العلماء بين الفقه والتصوف خاصة عند علماء المالكية استناداً إلى قول الإمام مالك ابن انس رضي الله عنه ... " من تصوف ولم يتفقه فقد تزوق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تقسم ومن جمع بينهما فقد تحقق..²

وهكذا أسهم المغاربة في نشر العديد من الطرق الصوفية في مصر وقد أشاع المغاربة عن الزبيدي العالم اليمني الشهير مؤلف " تاج العروس في شرح القاموس " انه إذا قدم احد هؤلاء المغاربة إلى مصر حاجاً ولم يصله بشيء لا يعتبر حجه كاملاً³

وفي القاهرة عدد من الزوايا والمساجد التي بناها المغاربة وقامت برسالتها في تلك الفترة وهي تحتفظ ببنائها كما شيدها أصحابها ومنها زاوية المغاربة في الإسكندرية المعروفة بالمحرس التي أنشأها محمد بن صالح المغربي وأوقف عليها الأوقاف لاستقبال الحجاج المغاربة وإقامة الشعائر الإسلامية ونشر العلم ورتب لها أماماً ونقيباً وناظراً على الوقوف، وجامع تربانه الذي أقامه الحاج إبراهيم تربانه المغربي سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٨٥ ، ومسجد الشيخ عبد اللطيف المغربي وقد شيده سنة ١١٧٠ هـ / ١٧٥٦ ، ومسجد قاسم الشرايبي بمنطقة الرويعي⁴.

¹ عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ .

² إبراهيم محمد عثمان عبده، الجوهر المكنون في الرد على من ظن بالصوفية الظنون، ضمن أعمال ملتقى التصوف العالمي الإسلامي، طرابلس ١٩٩٥، مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية ج١، طرابلس - ليبيا ١٩٩٧، ص ٢ ص ١٨٢.

³ توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨، ص ١٢١.

⁴ سامح إبراهيم، العلاقات الثقافية بين مصر وطرابلس، الروزنامة، الحولية المصرية للوثائق، دار الكتب المصرية، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ٢٢٣.

وفي القاهرة أيضاً أسهم المغاربة خاصة فئة التجار منهم في إنشاء المساجد والكتاتيب ورصد المبالغ المالية لكل كبيرة وصغيرة وذلك لاستمرارها ولتحمل أسمائهم وتخلد ذكراهم¹

وتعطي لهم الواجهة الاجتماعية في أنحاء المدينة ، فمثلاً نجد الخواجا إبراهيم عبيد تربانه يخصص اثنين وثلاثين منشأة تجارية على نفسه وذريته ومسجده وخصص لكل العاملين بالمسجد رواتب نقدية ومبالغ أخرى لاحتياجات المسجد² وفي القاهرة نجد الخواجا قاسم الشرايبي شاهبندر تجار مصر حرص على إنشاء مسجده بالأزبكية والحق به سبيل وكتاب وأنشأ فوق ميضأته ريعاً وأوقف إيراده على المسجد³ بالإضافة إلى زاوية جميع في الإسكندرية وغيرها من الزوايا والمساجد التي أنشأها المغاربة⁴. والتي كان الهدف منها التقرب إلى الله والعطف على الطبقات الدنيا في المجتمع ، حيث تساعدهم مثل هذه الأعمال الخيرية في دعم البنية الحياتية للمجتمع داخل الأحياء ، فقد كانت هذه الزوايا والمساجد تقدم خدمات متعددة لسكان هذه المناطق ، فمثلاً في حجة وقف الخواجا عبد الرحمن أحمد الفاسي قام بإنشاء مسجد في أهم مناطق القاهرة وأكثرها ازدهاماً بالسكان في حي البندقيين ، حيث قام بشراء أربعة أماكن خصص فيها مسجداً بجواره دارين للإنفاق من إيجارهما على هذا المسجد⁵.

أما الكيفية التي يتم التعليم فيها داخل الزوايا والكتاتيب وهي أن يكلف الفقيه " المؤدب " كل طفل بعمل ما فهذا يحفظ ما درسه وذلك يكتب في لوحة وثالث يعمل غير ذلك ، وهكذا حتى إذا ما أتم كل منهم عمله توجه للفقيه يسمعه ما حفظه ويعرض عليه ماكتب ثم يكلفه الفقيه بعمل آخر ، وهكذا يعطي لكل طفل دوره فترى الفصل في نشاط دائم⁶.

ويبدو أن الدراسة في الزوايا والكتاتيب لم تكن دراسة موضوعات محددة في مناهج موضوعية، بل كانت دراسة كتب غير محددة لمدة دراسية أيضاً، وكان الاعتماد كله على الفقيه في المنهج أو طريقة البحث فأساس التعليم كان الشيخ والكتاب، وقد بلغ حرص المغاربة وشدة حبهم للزوايا بأن يدفنون فيها عند موتهم ، وخير مثال على ذلك حينما دفن الصوفي الشيخ عبد السلام بن مشيش الحسني وهو أحد أقطاب

¹ احمد شلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء ابن شات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٨، ص ٥٨٦.

² عوض عوض الأمام، مسجد الحاج إبراهيم تربانه بالإسكندرية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، العدد ١٥، ١٩٩٤م، ص ٢٩٨.

³ محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر - دراسة اثرية حضارية وثائقية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ٢٣٩.

⁴ الإسكندرية الشرعية، س ٣٧ م، ٣٦٨ بتاريخ ١١٢٠هـ / ١٧١١م ص ١٠٦.

⁵ القسم العسكرية س ١٩٦، م ١١١ بتاريخ ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م، ص ١٠٣.

⁶ عبد الله محمد عزباوي، المرجع السابق، ص ١٨.

التصوف في المغرب العربي بعد أن أصيب بوباء الطاعون في زاوية العربي بالفحامين، وبعدها دفن ابنه أحمد إلى جانب والده في نفس الزاوية.

على أن حياة الصوفية ودورهم داخل الزوايا لم يلبث أن تغير أواخر القرن الثامن عشر نتيجة دخول كثير من الدخلاء عليها وفقدان الدعم المالي لها¹.

المبحث الثاني- المدارس العلمية

وجدت المدارس في القاهرة خلال فترة الدراسة وكان الغرض منها إيجاد مؤسسة تقوم بتدريس ما يحتاج إليه المسلمون من علوم الدين والدنيا². وقد برزت المدارس التي كانت تنشأ بالجهود الذاتية من قبل ميسوري الحال الذين كانوا يأنفون من مخالطة أبنائهم بأبناء العامة فأقاموا المدارس العلمية في المدن وأحضروا لها مدرسين من الأزهر ، وكان إنجذاب الطلبة إلى أية مدرسة عليا يتوقف على عاملين هامين وهما مدى ما يقدمه هذا الجامع أو المدرسة العليا من غذاء وملابس للطلبة والشهرة العلمية التي يتمتع بها من حيث الشهرة المدرسية والمكانة العلمية ولهذا فإن الجامع الأزهر كان أكثر هذه الجوامع ازدحاماً في مصر خلال القرن الثامن عشر للطلبة لتوافر هذين العاملين به ، فقد كانت هناك أوقاف كثيرة خصصت للصرف على طلبته وأساتذته، كما كان يوجد به عدد كبير من المدرسين الذائعي الصيت والشهرة .

ونتيجة للشهرة العلمية التي تمتع بها الأزهر ، أصبحت مدارس القاهرة بمثابة فروع له على الرغم من انه كان لهذه المساجد والمدارس أوقافها الخاصة ألا إن القاعدة كانت أن وظائف التدريس بها يتولاها شيوخ من الأزهر .

وكانت من أهم المدارس التابعة للأزهر في القاهرة خلال القرن الثامن عشر المدرسة الصرغتمشية³. حيث يبرز فيها الشيخ محمد بن حسن الجزايلي وهو من العلماء المغاربة البارزين خلال هذه الفترة حيث

¹ ليلي عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

² أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٨٧ .

³ المدرسة الصرغتمشية : أنشأها الأمير سيف الدين صرغتمش في عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٤م. انظر على مبارك، الخطط التوفيقية ج ٢ ، ص ١٢ .

منحه الشيخ حسن المقدسي تدريس الحديث بها ، فكان يقرأ البخاري كل جمعة حتى توفي في عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣ م¹ ، والمدرسة المحمودية² والمدرسة الجوهريّة³.

وكذلك المدرسة الصالحية⁴ والاقبغاوية⁵ والمدرسة السنانية بالصنادقية⁶ ومدرسة السيوفية⁷. التي أسسها الأمير عبد الرحمن كتحدا وصار اسمها الشيخ مطهر ومن هذه المدارس التابعة للأزهر المدرسة الخشابية⁸.

ومن المدارس التي تعتبر ملحقة بالأزهر أيضاً مدرسة محمد بك أبو الذهب التي أنشأها تجاه الجامع الأزهر في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٠م، والتي جعل لها أماكن لجلوس أهل الإفادة والإفتاء على المذاهب الثلاثة المالكية والحنفية والشافعية، أو بجلسة فيها حصة من النهار لإفادة الناس بعد إملاء الدروس فيها، فمثلاً برز فيها من العلماء المغاربة الشيخ احمد الدريد مفتي المالكية المتوفى عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م⁹، كما برز الشيخ أبو العباس المغربي الذي تنازل له السيد عمر مكرم الأسيوطي نقيب الأشراف عن التدريس في المدرسة الجوهريّة¹⁰.

كما برز الشيخ أبي الحسن المغربي المالكي في مدرسة مصطفى باشا حيث ألقى بها دروساً وداوم على قراءة سورة ياسين كل جمعة¹¹، بالإضافة إلى هذه المدارس والمساجد التي برز فيها دور المغاربة في القاهرة والتابعة للأزهر فقد كانت توجد بمصر ثمان عشرة أو عشرون مدينة من المدن الكبرى بها مدارس للتعليم ويختلف عددها من مدينة لأخرى، وكان المدرسون العاملين في هذه المدارس عادة

¹ عبدالرحيم عبد الرحمن ، المغاربة ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

² المدرسة المحمودية ، أنشأها الأمير جمال الدين محمد الاستادار في عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م . انظر على مبارك ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

³ الجوهريّة ، أنشأها الأمير القنقائي الجركسي ، المتوفى ٨٠٤هـ / ١٤٤٠ م ، انظر على مبارك ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٩١ .

⁴ الصالحية: بناها الملك السلطان نجم الدين أيوب سنة ٦٣١ هـ، انظر تقي الدين أحمد المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٢١٥هـ، ج٣، ص ٣٣٣.

⁵ الاقبغاوية: أنشأها الأمير أقبغي عبد الرحمن، انظر على مبارك، مصدر سابق، ج٢، ص ٩١.

⁶ السنانية: أنشأها الأمير كوساسنان في عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣.

⁷ السيوفية: أنشأها صلاح الدين الأيوبي وجعلها وفقاً على الحنفية، نفس المصدر، ج٢، ص ٢.

⁸ سجلات الباب العالي، س ١٨٩ م ١٣٨٣ م بتاريخ ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م، ص ٣٢٩.

⁹ محمد عبد الله عزباوي، مرجع سابق، ص ٢٦.

¹⁰ حسام محمد عبد المعطي، رواق المغاربة، مجلة الروزنامة، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٨١.

¹¹ سجلات تقارير النظر، س ٩، م ٧٤٢ بتاريخ ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م، ص ١٠٥.

شيوخاً تلقوا تعليمهم في الأزهر وقد أمدت هذه المدارس الأزهر بغالبية طلبته¹، ومن هذه المدارس في الوجه البحري مدارس طنطا التي كان أهمها مسجد السيد أحمد بدوي وقد اشتهر بتعليم القرآن على عكس الأزهر الذي اشتهر بعلوم الفقه، ولذا كان يقال في المثل "ما قرآن إلا أحمدي ولا علم إلا أزهرى"².

كل هذه المدارس قامت بحركة فكرية كبيرة في مصر خلال القرن الثامن عشر ولم تكن مقصورة على علماء مصريين فقط، بل شارك فيها علماء مغاربة كان لهم دورهم العلمي في تلك المناطق ومنهم الشيخ إبراهيم تربانة المغربي والشيخ إبراهيم التاجوري المالكي الذي تزوج من أخت أحد كبار التجار في الإسكندرية وأصبح وكيلاً لوجاهة طرابلس سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م.

ومن العلماء المغاربة في العلامة محمد فارس التونسي وهو من أكابر الصوفية توفى بالقاهرة سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م. كما نجد الشيخ مسعود الطرابلسي الذي درس صحيح البخاري في أغلب أوقاف مصر وورث الوصية بشأنها في سنة ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م ومعنى ذلك انه تخرج على يديه كثير من طلبة العلم في مختلف مناطق مصر واعترافاً بفضل نجل الشيخ حسن العطار يمتدحه بقصيدة نذكر منها قوله :

انهض فقد ولت جيوش الظلام وأقبل الصبح سفر اللثام

بشارك مولانا على منصب كان له فيك فريد الهيام

وأفاك إقبال بدا دائماً وعشت مسعوداً بطول الدوام

فقد رأينا فيك ما نرتجي لا زلت فينا سالماً والسلام³.

وواضح من هذه القصيدة ما بلغه الطرابلسي من العلوم والمعارف والتي جعلت شيخ الأزهر يعترف له بذلك من خلال هذه الأبيات.

المبحث الثالث: رواق المغاربة في الأزهر :

الفكرة العامة من وراء إنشاء نظام الأروقة. في الأزهر هي تذليل العقبات المالية أمام الراغبين في طلب العلم من ناحية، وعدم إشعار الدارسين أنهم يعيشون في جو غريب عنهم وهم يقضون سنوات طوال من أعمارهم في تحصيل العلم في الأزهر بعيدين عن أوطانهم وعن العادات والتقاليد التي ألفوها من ناحية

¹ نفس المصدر، س ٩، م ٧٤٤ بتاريخ ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م، ص ١٠٥.

² افناطيكوبس كراتسكوفسكي، حياة الشيخ محمد عبد الطنطاوي (د.ت)، ص ٢٤.

³ الشيخ حسن العطار : ولد بالقاهرة سنة ١١١٠ هـ / ١٧٧٦ م، واصله من المغرب، تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٣٠ م، انظر كتاب الهلال، قصة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٨٥ .

أخرى¹، وانطلاقاً من هذه الفكرة كان للوافدين من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي رواق خاص بهم، كما كان للمصريين أروقة خاصة بأبناء كل إقليم².

أما عن نشأة الرواق وتخصيصه للمغاربة، فقد ارتبطت مصر بالمغرب منذ أقدم العصور، فمن مصر بدأت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد المغرب، وقد بدأ الحضور المغربي يظهر على الساحة بكثرة في أعقاب قدوم عدد كبير منهم في صحبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣ م، وقد اختار لهم الخليفة مكاناً يسكنون فيه بعيداً عن الأهالي بعد أن قام هؤلاء بإخراج المصريين من ديارهم في منطقة القرافة فأمرهم الخليفة بالسكن في عين شمس، ومع مضي الزمن سكن أكثرهم القاهرة مخالطين للمصريين³.

ويقع رواق المغاربة بالجانب الغربي من صحن الجامع الأزهر، حيث كان مجاوراً لرواق الأتراك والسنوية (أهل سنار بالسودان) وقد تكون من خمسة عشر بائكة قائمة على أعمدة من الرخام الأبيض، وقد بلغت مساحته ٢٤٠ متراً، وبداخل الرواق باب على الجدار الغربي ينفذ إلى مساكن علوية، كانت تؤوي فقراء الطلبة المغاربة إضافة إلى كتبخانه الرواق، وكان أغلب الطلبة الوافدين من بلدان المغرب للتعليم في الأزهر يأتون وقد تجاوز كل منهم العشرين عاماً، بعد أن حصلوا على قسط وافر من العلم في بلادهم، أما إذا كانوا صغاراً في السن أو لم ينالوا قدراً كافياً من التعليم، فقد كانوا يكملون تعليمهم في مسجد طولون، ثم يلتحقون بالرواق بعد إتمام تعليمهم وختمهم للقرآن الكريم⁴.

أما الدراسة داخل الرواق فقد بنيت على أسس إدارية ولم تترك بدون رقابة، وكان على رأسها وفي مقدمتها شيخ الرواق، ولم تكن مشيخة الرواق فترة الدراسة بالأمر الهين أو اليسير بل وضعت ضوابط لمن يستحقها، حيث يعقد اتفاق داخلي بين أعيان مجاوري الرواق كافة ويحضره علماء المذاهب الأربعة في الجامع الأزهر ثم يرجحون أحدهم لمشيخة الرواق أو عزله إذا اقتضت الضرورة بذلك، ويرفع قرارهم إلى قاضي قضاة مصر - شيخ الإسلام - وبدوره يرفع هذه الرغبة إلى السلطان العثماني والذي يأتي قراره موافقاً لما اجمع عليه الرواق وأيده علماء المذاهب الأربعة في الأزهر⁵.

¹ رواق: بكسر الراء، وفتح الواو، وتجمع أروقة ورووف بضم الراء وترو في صيغة الجمع رواثات /، والمعنى المعماري للرواق هو مكان في الجامع محصور بين صفيين من البوائك انظر عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٣ القاهرة، ج ١، ص ٢٤.

² عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

³ شهاب الدين احمد النويري، نهاية الارب في فنون الأدب تحقيق، محمد أمين ومحمد حلمي، ج ٢٨، القاهرة ١٩٩٢ م، ص ص ١٥٩-١٥٠.

⁴ حسام محمد عبدالمعطي، المرجع السابق، ص ١٧٠.

⁵ سجلات تقارير النظر، س ٢، م ١٢٠١ بتاريخ ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م. ص ١٠٨.

أما عن إيرادات الرواق المغربي، فقد كان الرواق المغربي بالجامع الأزهر أكثر أروقة الأزهر ثراءً، بسبب الأوقاف الكبيرة والعديدة التي حرص التجار المغاربة على وقفها، خاصة خلال القرن الثامن عشر، فإلى جانب ما تم تخصيصه للرواق المغربي من أوقاف الجامع الأزهر سواءً من الرواتب النقدية أو الرواتب العينية، فقد رصد الخوaja قاسم بن محمد ديون الأندلسي مبلغ ٥٨٢٠٠ بارة من تركته لرواق المغاربة، أما الخوaja محمد بن حسن العشوبي فقد ترك وصية مفادها أن يدفع من تركته لرواق المغاربة مبلغ ١٢٠٠٠ بارة لشراء عقار يوقف على رواق المغاربة بالأزهر والحاج محمد بن شعلان التلمساني التاجر بالفحامين رصد مبلغاً قدره ٨١٠٠ بارة وصية لطلاب الرواق و ٥٠٠ بارة أخرى لشيخ الرواق، وخصص مبلغ ٣٠٠٠ بارة لشراء كتب ووقفها على طلاب الرواق كما أوصى عدد كبير من التجار المغاربة بأن تتول أوقافهم بعد انقراض نريتهم إلى رواق المغاربة بالأزهر.

بالإضافة إلى دور الشيوخ من آل الشرايبي وأسرة عبد الرحمن البنان والسفاقي وسالم مسعود الطرابلسي والشيخ محمد بن أبي بكر الأثرم ومشاركتهم الكبيرة لصالح أوقاف رواق المغاربة، فمثلاً نجد الشيخ الأثرم المصري ينتقل بين القاهرة والإسكندرية ويتاجر بالأغنام التي تجلب له من وادي برقة، ويشاركه عليها مشايخ أولاد علي وغيرهم، وتوسعت تجارته وزادت شهرته، حيث مكث في الإسكندرية ثلاث سنوات، ثم عاد إلى القاهرة بعد أن رأى نفسه انغمس في ملذات الدنيا فاتر الرجوع إلى القاهرة، ليجيء بين علمائها لهذا باعه التي في الإسكندرية¹

فضلاً عن العقارات والأوقاف التي حبسها التجار والأثرياء المغاربة في القاهرة والمدن المصرية الأخرى لينفق من ريعها على طلاب الرواق، فقد سجلت الوثائق الكثير من هذه الأوقاف على رواق المغاربة داخل المدن المصرية وكان شرط الواقف أن يكون الصرف على طلبة العلم المالكية المجاورين من رواق المغاربة بالجامع الأزهر، وكان شيخ الرواق يعين غالباً ناظراً على هذه الأوقاف، ويتولى النظر فيها والصرف من مصاريفها، فإن قصر في شيء من ذلك تقدم المجاورين المغاربة بتقرير إلى وزير مصر بعزله وتولية غيره، فكان لهذه الكفالة المالية من التجار المغاربة للطلاب والعلماء دور في تفرد هؤلاء للاستمرار في العطاء العلمي وهكذا يظهر دور المغاربة في الأزهر خاصة ومصر كجزء أساسي من الترابط العربي بين مصر والبلدان المغربية، كما أصبح رواق المغاربة المرجع والحجة الأساسية في تطور الفقه المالكي وإعادة نشره في المغرب العربي²

¹ سجلات تقارير النظر، س ٢، م ١٢٠١، ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م، ص ١٠٨.

² حسام محمد عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٩٧.

المبحث الرابع - العلماء في القاهرة - نشاطهم ومناصبهم العلمية.:

من المعروف في مجتمع يعيش على الوازع الديني أن يصبح العلماء هم الجسر الذي يربطهم ببقية فئات المجتمع خاصة حملة القرآن الكريم منهم والفقهاء، كل هذه الأمور لها قيمتها في مجتمع يحترم الدين ويجل رجاله وحيث ضم الرواق المغربي كوكبة من العلماء المغاربة الذين كان لهم دور علمي وإداري في مصر إبان القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي وقد نالوا المقام الرفيع حتى تم الفصل بين المهمة الإدارية والمهمة العلمية، وقد تولى عدد من العلماء المغاربة الوظائف الإدارية، ومع ذلك لم يتم إقصائهم عن إلقاء دروسهم في الأزهر ومن أهم المناصب العلمية التي تولوها المغاربة هي مشيخة الرواق المغربي، حيث فترة الدراسة تعاقب أربعة وعشرون شيخاً على هذا المنصب خلال القرن الثامن عشر ومنهم من شغلها مرة واحدة وبعضهم مرتين والبعض الآخر أربع مرات.

والواقع أن مرد عدم الثبات لشخص معين في مشيخة الرواق إلى الصراع الدائم بين شيخ الرواق والمجاورين لتجديد صلاحيات الشيخ ودوره الإداري في تسيير الأوقاف الخاصة بالرواق فمثلاً في سنة ١١٤٢هـ/١٧٣٠م اجتمع طلاب الرواق، وتقدم والي مصر عبد الله باشا بطلب عزل شيخهم عبد السلام بن محمد، ورغم الوساطة وتدخل كبار أمراء مصر وعلى رأسهم الأمير عثمان كتخدا القازدغلي والأمير يوسف كتخدا البركاوي وكبار علماء الأزهر، فلم يوافق المجاورون على عودة الشيخ عبد السلام لمشيخة الرواق إلا بعد أن اشترطوا عليه الشروط التي قيدت من سلطته عليهم¹. وهي ألا يتصرف في أمر من أمور المجاورين إلا بمعرفة أعيان الرواق ورضاهم وإذا لم يقر باستشارتهم اعتبر تصرفه باطلاً. وأن لا يقوم بطرد أحد من الرواق وأن لا يقطع معلوم أحد من أهل الرواق وأن يصلح بين أهل الرواق بالمعروف وأن يعاقب كل من يرتكب ذنباً من المجاورين بالرواق بعقوبة يتفق عليها مع أهل الرواق وحضور كبار المشايخ².

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة شيخ الرواق بشيخ الأزهر كانت تربطها قواعد ثابتة حيث ظل شيخ الأزهر مشرفاً عاماً من الناحية الأدبية على ما يجري داخل الرواق بيد أن شيخ الرواق تمتع بسلطة واسعة على كافة المغاربة وكان يعاونه عدد من الموظفين منهم النقيب الذي ينوب عن الشيخ في حالة تغيبه لعذر ما كمرض أو سفر خارج القاهرة ومن ثم يأتي الجابي وهو الذي يقوم بتحصيل الأوقاف المحبوسة على

¹ سجلات تقارير النظر، س ٢، م ١٢٠١ بتاريخ ١١٤٢هـ/ ١٧٣٠ م ص ١٠٨.

² عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق عن دور المغاربة في مصر من خلال المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، العدد ١٠، ص ١٠٣١.

الرواق ويساعده الكاتب الذي يكتب إيرادات الأوقاف وينظم الحسابات الخاصة بعمليات تأجير الأوقاف وكتابة أسماء طلاب الرواق والأموال المخصصة لهم¹.

بالإضافة إلى ذلك فقد اشتغل المغاربة بعدد من المناصب الأخرى حيث اشتغل عبد الرحمن المغربي الطرابلسي في وظيفة ناظر بخط طولون ومنطقة بئر الوطاويط نائباً عن شخص آخر في طرابلس تعذر حضوره للقاهرة²، كما تم تعيين محمد المغربي الجازولي في وظيفة ناظر على إحدى الزوايا بحارة الشباسي ببولاق بعد وفاة الذي كان متولياً لهذه الوظيفة قبله³، كما نجد الشيخ شهاب الدين احمد المغربي يتولى منصب القاضي العسكري بمصر والخطبة بمسجد عمرو بن العاص وهو مسجد له شهرته الواسعة في تلك الفترة⁴، كما نجد الشيخ أبي الحسن المغربي المالكي يسند إليه عدد من الأعمال الإدارية في سنة ١١٨١هـ / ١٧٦٧م ويقوم بوظيفة نصف شادية ونصف شهادة⁵. وقراءة سورة تبارك بعد العشاء وآيات من سورة الكرسي وثلاث نوبة أذان وسدس إملاء فقه وسدس تقرية وربيع القناطر وقيراطين من تأديب الأطفال كل ذلك يقوم به في وقف سيدي على الجنيد بمسجد خط القناطر السباع وسدس إملاء فقه بوقف علي باشا⁶. كل هذه المناصب تدل على مدى الاستيعاب الذهني لهذا الرجل.

وهناك أيضاً الشيخ محمد بن عمر العمامي المغربي الذي تولى القضاء والتدريس لعدد من الطلاب لفقه الشافعي بالمدرسة الخشابية، كما تطالعنا المصادر عن مهمة النظارة التي كانت بمثابة الإشراف العام على الأوقاف وقد أسندت إلى علماء مغاربة منهم الشيخ حسين الدين بن خليل المغربي وهو من كبار المدرسين بالرواق حيث يشار إليه بـ "الشيخ الفقيه المحدث المحقق"⁷. فقد تولى النظارة على أوقاف الصالحية ووقف الظاهر أبا سعيد قانصوه ووقف بيبرس⁸.

ومما كان له أبعد الأثر في العلم واشتهر بين الناس بفصاحة اللسان وقدرته اللغوية الشيخ محمد المغربي المالكي⁹. الذي صدر له قاضي القضاة بالجامع الأزهر تعييناً بالتدريس والإفتاء في الإسكندرية ،

¹ حسام محمد عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٨٤.

² سجلات تقارير النظر، س ٧، ميكروفيلم ١، بتاريخ ١١٦٥ هـ، ١٧٥٦ م، ص ٩٠. انظر ملحق ١.

³ نفس المصدر، س ١١، ميكروفيلم ٢، مادة ٧٦، بتاريخ ١١٤٤ هـ / ١٧٣٢ م، ص ١٠، انظر ملحق ٢.

⁴ محكمة الباب العالي، س ١٨٤، ٢٦٨٥ بتاريخ ١١١٤ هـ / ١٧٠٢ م، ص ١٣٦.

⁵ للمزيد حول وظائف الشادية والشاهد ونصف وظيفة انظر محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية.

⁶ سجلات تقارير النظر، س ١١، م ١٠٧٢، بتاريخ ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م، ١٥٧.

⁷ عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٦.

⁸ القسم العسكرية، س ١٧٥، م ٧٧، بتاريخ ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣م، ص ٥٥ - ٥٧.

⁹ سجلات تقارير النظر، س ٢ م ١٥٥، بتاريخ ١١٨٢ هـ / ١٧٦٧م. ص ٢٢.

وبيده وثيقة مسطرة من الباب العالي بذلك وأقره علماء الثغر كمفتياً لهم بعد أن ثبتت لهم أهليته خاصة في الفقه المالكي في أوائل ربيع الثاني ١١٨٢هـ/أغسطس ١٧٦٧ م¹.

وهكذا تقلد المغاربة المناصب المختلفة من قضاء وتدریس ونظارة وغيرها ووصلوا إلى مناصب التدريس في الأزهر ومدارس القاهرة المتعددة كما تقلدوا خلال القرن الثامن عشر منصب مفتي المالكية بالديار المصرية مثل الشيخ محمد الأمير والشيخ محمد عليش² بل إن منهم من وصل لاحقاً إلى رئاسة مشايخ الأزهر مثل الشيخ حسن العطار.

ومن خلال ذلك يمكننا إدراك حقيقة مهمة وهي أن مصر وما تحتويه من مقدمات حضارية لم تفرق بينهم وبين إخوانهم في العقيدة وفي الوطن وعاش هؤلاء العلماء في مصر واتخذوا منها داراً ومقاماً.

كما شهدت القاهرة والإسكندرية أفواجا من العلماء المغاربة الذين حرصوا على الاتصال بأقرانهم في الأزهر وإلقاء الدروس لبعض الوقت في الرواق المغربي ، حيث كان يجري تعريف طلاب الرواق بآخر التطورات المعرفية والفقهية في بلدان المغرب وعلى سبيل المثال الشيخ محمد بن طالب بن سودة التاودي عند حجه في عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨ م قام بشرح كتابه شرح التاودي على الجامع للشيخ خليل بن محمد المغربي كما عقد عقب عودته من الحج درساً حافلاً برواق المغاربة وحضر دروسه اغلب علماء الأزهر كما شرح الشيخ احمد بن علي المنجور كتابه " شرح المنهج المنتخب في قواعد المذهب المشهور بقواعد الزقاق"³.

ومن أهم العلماء المغاربة الذين وردت أسمائهم في كتب التراجم والمصادر المعاصرة خلال القرن الثامن عشر :

١ - الشيخ أبو عبد الله محمد : وهو الفقيه المسند الصوفي أبو عبد الله محمد بن العباس الجزولي السوسي الفاسي داراً ومقاماً ، وهو احد المغاربة الذين حصلوا على الإجازة في الطريقة الخلوتية وللشيخ كتب نفيسة ومن أهمها كتاب مسماه المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية مع بعض كتب السيرة النبوية⁴.

٢ - الشيخ علي السقاط، ولد بفاس وقرأ على والده ثم رحل إلى مصر مع شيخه محمد بن عبد السلام البناني ولزمه وقرأ عليه بالجامع الأزهر وأجازه الأخير في عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م وتتلذذ السقاط على

¹ الاسكندرية الشرعية ، س ٩٠ ، م ٣٧٤ ، بتاريخ ١١٨٢هـ/ ١٧٦٧م ، (د.ص)

² حسام محمد عبد المعطي ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

³ عبد الحي عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات، مطبعة الطالعة الجديدة، فاس ١٣٤٦هـ/ ١٣٩٧هـ.

⁴ عبد الحي عبد الكبير الكتاني، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٦١ .

أيدي علماء مصريين منهم الشيخ احمد الدرقاوي والشيخ الزرقاني وغيرهم¹، وكان الشيخ محمد مرتضى الزبيدي قد اجتمع بالسقاط في منزل السيد علي المقدسي وأجازه السقاط شفاهة² وقد امتدحه الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في الفية المسد فقال:

ومنهم المعروف بالسقاط ... محدث العصر بلا إفراط³.

وممن درس على يد السقاط في مصر الشيخ عبد العليم بن محمد الفيومي⁴، والشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ أبو عبد الله الفرغلي السيد صاحب كتاب " الضوابط الجلية في الأسانيد العلية في سنده عن شيخه السقاط".

٣ - الشيخ احمد الشرفي:

وهو الشيخ احمد بن محمد بن عبد السلام الشرفي المغربي الأصل المصري المولد له معرفة كبيرة بعلم الميقات، وكان من شدة حبه للعلم يدعوا العلماء إلى بيته في الأزبكية في المولد النبوي ويقدم لهم الموائد⁵. ومن مؤلفاته في علم الميقات " الدرر الفاخرات بربع المقنطرات في جميع الأقطار والجهات"⁶.

بالإضافة لما مارسه هؤلاء العلماء وغيرهم الكثير من أنشطة علمية وحصولهم على الأجازات وتأليفهم للكتب نجدهم يتبادلون الرسائل والفتاوى بينهم وبين العلماء المصريين.

فمثلاً حينما اختلف كل من عبد المؤمن بن عبد الحميد بن سليمان المخزومي والعلامة محمد بن محمد الكانمي وهما من أكبر علماء فزان وكلاهما رحل إلى مصر وتتلذذ على يد الزبيدي - في مسألة رؤية الله عز وجل سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦ م واشتد النزاع بينهما احتكما إلى علماء الأزهر حيث أرسل سلطان فزان الشيخ عبد المؤمن المذكور إليهم ومعه صورة استفتاء من علماء فزان فأجابه السادة الأزهريون

¹ محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الهجري، القاهرة ١٢٩١هـ، ج ٣، ص ٢٢٩

² عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق.

³ عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ج ٢، مطبعة الطالعة الجديدة، ص ٣٤٩.

⁴ محمد خليل المرادي، مصدر سابق ص ٣٢٩.

⁵ عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨١٨.

⁶ إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١ اسطنبول، ١٩٥١م ص ٢٣٩..

بفتوى مكتوبة ووقعوا عليها ووقع معهم الزبيدي¹. ثم عاد إلى حاكم بلاده بالإجابة حيث أقره علماء الأزهر وعضدوا رأيه في هذه المسألة محل الخلاف².

وفي عام ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م دارت مناظرات واسعة في الأزهر بين الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي وبين بعض رجال العلم الحنفية حول تحريم الدخان الأمر الذي كان وراء صدور مرسوم بمنع تناول الدخان في شوارع القاهرة وعلى أبواب الدكاكين³ وهذا يعكس قوة النشاط العلمي للعلماء المغاربة في القضايا التي تخص المجتمع المحيط به .

كما أشار الجبرتي إلى الخلاف بين علماء الثغر السكندري وبين الشيخ إبراهيم المالكي الذي أقر في دروس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها وإنكار فقهاء الثغر لمعارضتهم له فقال أنا لم اذكر ذلك بفهمي وعلمي وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على المليجي المغربي، وانتهى الأمر بنفي الشيخ إبراهيم إلى بنغازي ولم يظهر منذ اختفائه⁴.

كما اهتم المغاربة بجمع الكتب ونسخ المخطوطات والبحث عن دقائق الكنوز العلمية واقتناء النادر منها، فمثلاً صاحب الرحلة الناصرية الشيخ ناصر الدرعي في رحلته الثانية ١٢١١هـ / ١٧٩٦ م، عندما مر بمصر اشترى الكتب للانتفاع بها، والشيخ العارف بالله الصوفي الزاهد أحمد بن عبد الكتاني السوسي الذي عرف عنه عكوفه على مذاكرة العلوم.

ومطالعة الكتب الغربية وجمع الكثير منها وكان يرسل في كل سنة قائمة بأسماء الكتب التي يرغب في اقتنائها إلى الشيخ السيد مرتضى فيشترى له الأخير مطلوبة منها⁵.

كما امتد نشاط الكثيرين من العلماء المغاربة في القاهرة من التأليف والنسخ والاقتناء لمؤلفات الآخرين وحملها عند عودتهم لتكوين مكتبات في بلادهم ليستفيد منها تلاميذهم ، حيث نجد مكتبة الشيخ محمد احمد منيع المتوفى سنة ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨ م وهو من علماء الجيل الغربي في ليبيا زاخرة بالمخطوطات وعنى الشيخ بنسخ العدد الكثير من محتوياتها بنفسه ، وهي تشمل على ثمان مائة مخطوطة

¹ عمار حجيدر، اتصال السند العلمي، تلامذة محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠ م، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات، ج ٢، مركز دراسة الجهاد الليبي، ليبيا ١٩٩٢م، ص ١٤١٣.

² محمد مسعود جبران، مظاهر الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا، الرحلات العلمية وتوثيق السند العلمي في العصر الحديث، ضمن أبحاث المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن، ١٩٨٨م، منشورات مركز الجهاد الليبي ١٩٩٢، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

³ حسام عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٩٧.

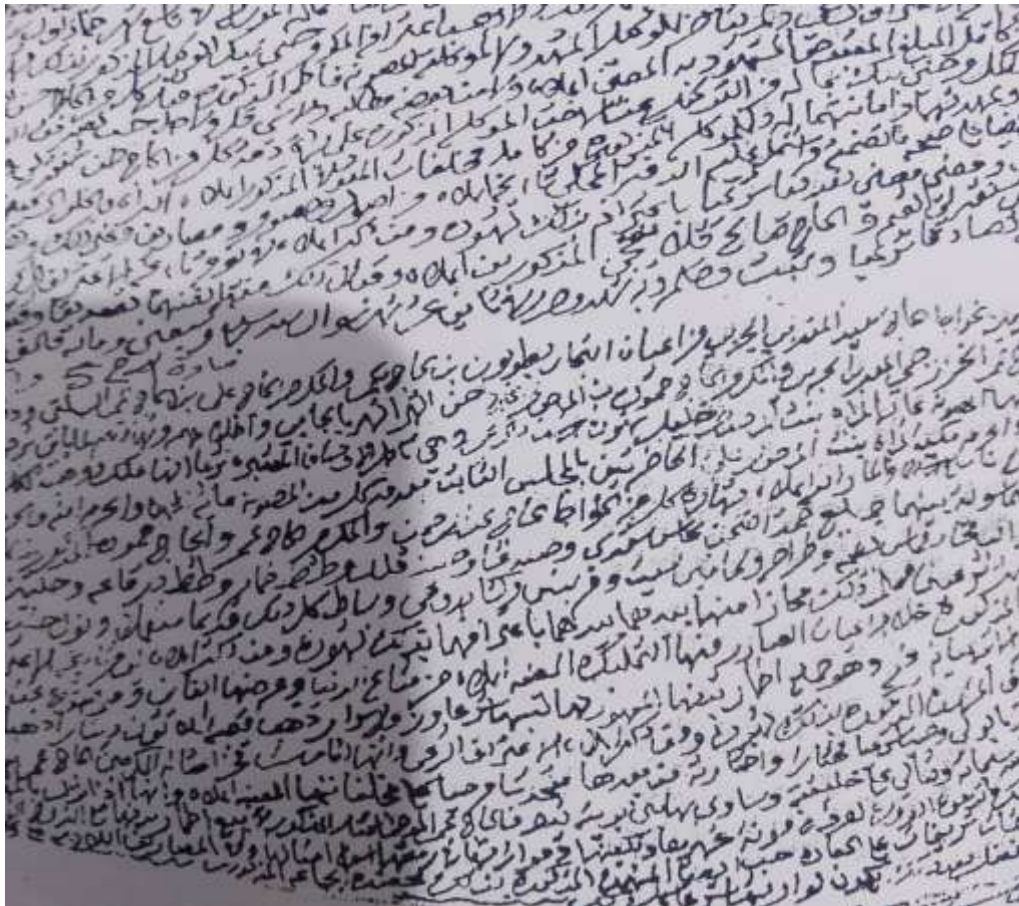
⁴ عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج ٣ ص ١٠٢.

⁵ عبد الرحمن الجبرتي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٢.

إضافة إلى الكثير من كتب الفقه المالكي لعلماء الأزهر مثل شرح الخرشي على مختصر خليل وحاشية الدريد، بالإضافة إلى كتب الحديث والتفسير والآداب والمواعظ والمنطق وغيرها من العلوم وهي في معظمها لعلماء الأزهر¹.

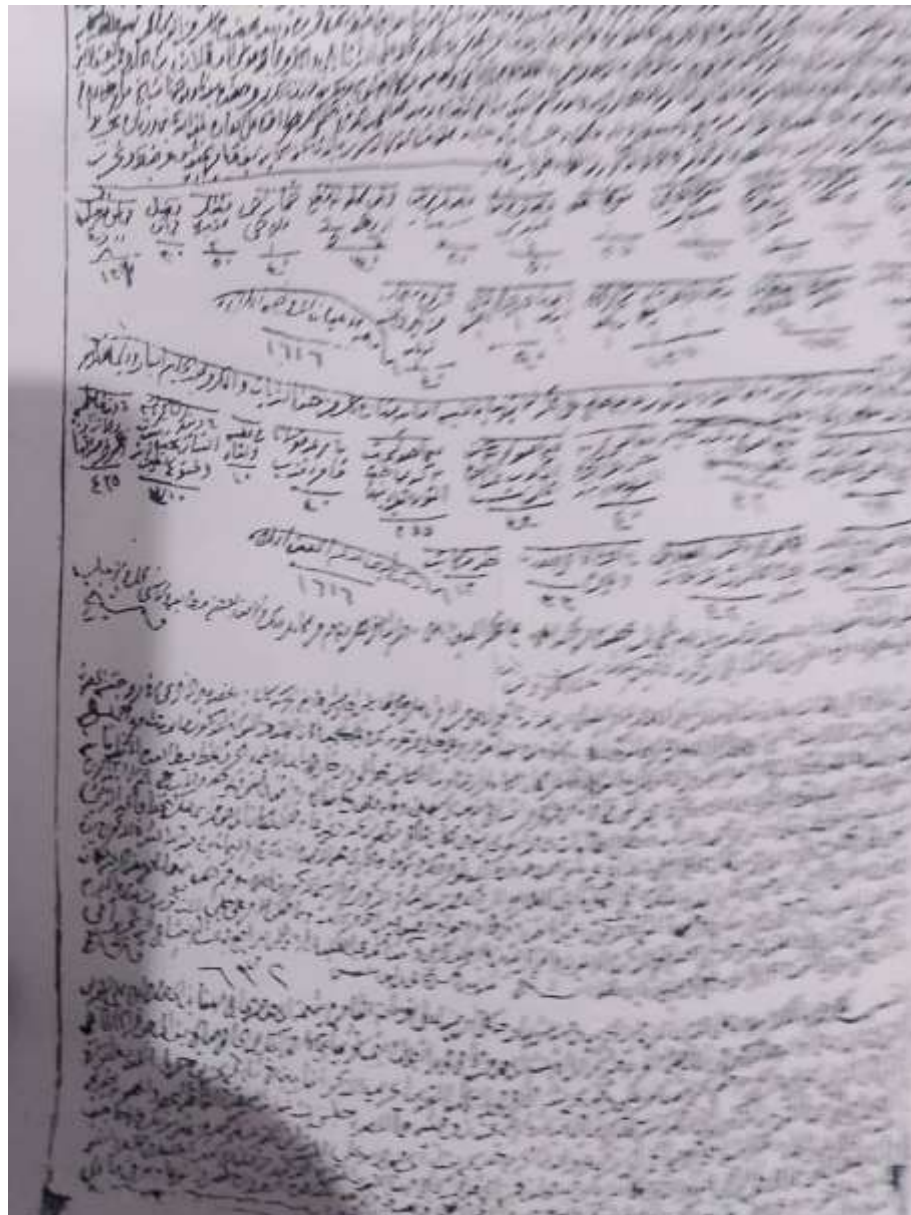
كما زخرت دور الكتب المصرية بمؤلفات المغاربة خلال القرن الثامن عشر منها كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من أخبار " للشيخ ابن غلبون ومنه نسخة محفوظة بدار الكتب الوطنية تحت رقم تاريخ تيمور ٢١١٤ ميكروفيلم ٥٠٦٧٢ ، وغير ذلك ، وهناك الكثير من المؤلفات التي انتقلت إلى مكتبات مصر إما بإرسال أصحابها لأساتذتهم من علماء الأزهر أو حمل الطلاب والحجاج لها².

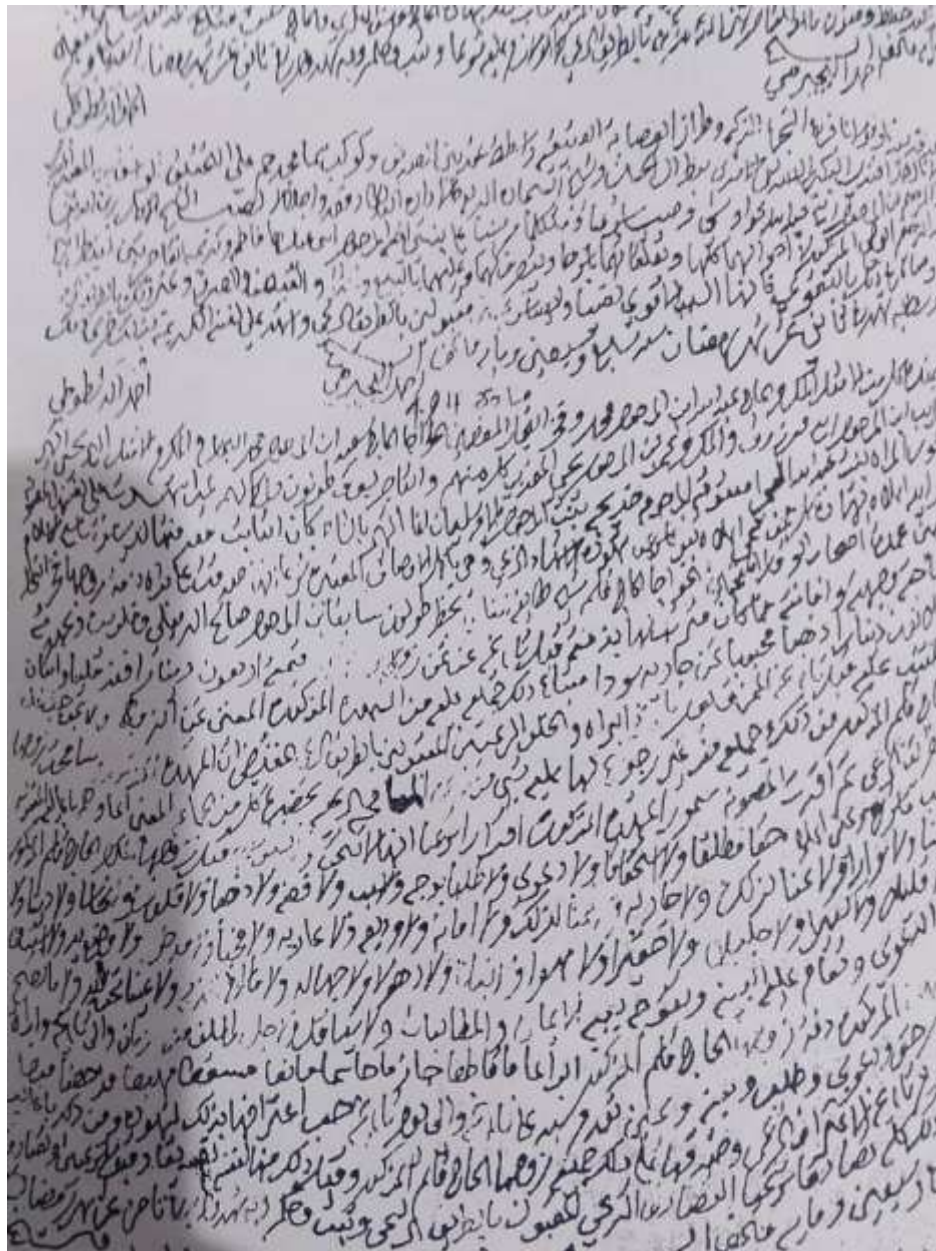
ومن خلال عرضنا السابق لروافد النشاط العلمي المغربي في مصر خلال القرن الثامن عشر نخرج بنتيجة مفادها اتصال الحياة العلمية والعملية للثقافة العربية بين كلا القطرين وتأثير كل منهما على الآخر.



¹ عبد الحميد عبد الله الهرامة، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي ، أصالة للنشر والتوزيع ، بيروت ٢ ط ، ١٩٩٩ م ، ص ٣٢.

² محمد مفتاح قريو ، ترجمة العلامة الشهيد ابن غلبون ، ضمن أعمال مؤتمر ابن غلبون ، مؤرخ ليبيا، مركز دراسة الجهاد الليبي ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٦ .





ثانيا المصادروالمراجع

- ١ - شهاب الدين احمد النويري، نهاية الارب في فنون الأدب تحقيق، محمد أمين ومحمد حلمي، ج ٢٨، القاهرة ١٩٩٢ م،
- 2- عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، (1517 - 1798) مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1982م،
- 3 - الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، ج1، طرابلس، ليبيا 1961م،
- 4 - عبد الله محمد عزباوي، المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997 م،

- 5 - يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، .
- 6 - توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨،
- 7 - سامح إبراهيم، العلاقات الثقافية بين مصر وطرابلس، الروزنامة، الحولية المصرية للوثائق، دار الكتب المصرية، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م،
- 8 - احمد شلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء ابن شات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٨،
- 9 - عوض عوض الأمام، مسجد الحاج إبراهيم تربيانه بالإسكندرية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، العدد ١٥، ١٩٩٤م،
- 10 - محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر - دراسة اثرية حضارية وثائقية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م،
- 11 - أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ،
- 12- حسام محمد عبدالمعطي ، العائلة والثروة البيوتات التجارية المغربية في مصر الهيئة العامة للكتاب 2008
- 13 - حسام محمد عبد المعطي، رواق المغاربة، مجلة الروزنامة، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠٠٦،
- 14 - عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق عن دور المغاربة في مصر من خلال المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، العدد ١٠،
- 15 - عبد الحي عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، مطبعة الطالعة الجديدة، فاس ١٣٤٦هـ / ١٣٩٧هـ.
- 16 - محمد مسعود جبران، محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، مركز الجهاد الليبي - طرابلس، ليبيا، 1996م، 48.
- 17 - محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الهجري، القاهرة ١٢٩١هـ، ج ٣،
- 18 - إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١ اسطنبول، ١٩٥١م
- 19 - عمار حجير، اتصال السند العلمي، تلامذة محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات، ج ٢، مركز دراسة الجهاد الليبي، ليبيا ١٩٩٢م،
- 20 - محمد مسعود جبران، مظاهر الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا، الرحلات العلمية وتوثيق السند العلمي في العصر الحديث، ضمن أبحاث المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن، ١٩٨٨م، منشورات مركز الجهاد الليبي ١٩٩٢،

- 21 - عبد الحميد عبد الله الهرامة ، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي ، أصالة للنشر والتوزيع ، بيروت ٢ ط ، ١٩٩٩ م ،
- 22 - محمد مفتاح قريو ، ترجمة العلامة الشهيد ابن غلبون ، ضمن أعمال مؤتمر ابن غلبون ، مؤرخ ليبيا، مركز دراسة الجهاد الليبي ، ١٩٨٢ م ،
- 23 - عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ٢ ، مطبوعات مكتبة مدبولي ، القاهرة ،
- 24 - ليلي عبد اللطيف ، المجتمع المصري في العصر العثماني ، ج ١ دار الكتاب الجامعي، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- 25 - بدوي الجمل ، الزوايا في المجتمع العربي ، مجلة الضمير ، المجلد الأول العدد الأول (د.ت).
- 26 - إبراهيم محمد عثمان عبده، الجوهر المكنون في الرد على من ظن بالصوفية الظنون، ضمن أعمال ملتقى التصوف العالمي الإسلامي، طرابلس ١٩٩٥، مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية ج ١، طرابلس - ليبيا ١٩٩٧،